قراءة في كتاب (تاريخ الحِلَّة)
للشيخ يوسف كركوش الحِلِّيّ

أ.د. كريم مطر حمزة الزبيديّ
جامعة بابل/كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة

Reading in the book (History of Hillah) by Sheikh Youssef Karkoush Al-Hilli

Prof. Dr. Karim Matar Hamza Al-Zubaidi
University of Babylon/College of Education for Human Sciences

من المفيد أن نعطي تعريفًا موجزًا عن المؤلِّف، فهو الشيخ يوسف حمَّادي حسين كركوش الحِلِّيّ، ولِد في محلَّة الجامعين في الحِلَّة سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، أديب ومؤرِّخ، فهو بحق مؤرِّخ الحِلَّة الأوَّل، درس وتعلَّم اللغة العربيَّة والعلوم الشرعيَّة والفلسفيَّة على يد شيوخ الحِلَّة، أمثال عبد الرزَّاق السعيد، وقاسم العطَّار، ومحمود سماكة، وناجي خميس، وعبد الكريم الماشطة، عيِّن معلِّمًا في مدرسة الفيحاء الابتدائيَّة، ثمَّ نُقِل إلى مدرسة فيصل الثاني (الوثبة)، تقاعد من التعليم سنة ١٩٦٤م، وتوفِّي في الحِلَّة سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ودُفِن في النجف الأشرف.

من آثاره العلمية:

تاريخ الحِلَّة بجزأيه، رأي في الاعراب، كشف الغطاء عن كتاب فقهاء الفيحاء، مختصر تاريخ الحِلَّة.

صدر الكتاب بجزأين في مجلَّد واحد، الجزء الأوَّل في الحياة السياسيَّة، والجزء الثاني في الحياة الفكريَّة، وصدرت الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م من المكتبة الحيدريَّة، ومطبعتها في النجف الأشرف.

الجزء الأوَّل

عدد صحائفه ٢٧٠، الحجم وزيريّ، وهو في الجانب السياسيّ الذي يتعلَّق بمدينة الحِلَّة، وقد ذكر الشيخ يوسف كركوش في مقدِّمة هذا الجزء سبب تأليف هذا الكتاب، بعد أن صدر له من دار العرفان ببيروت كتاب مختصر تاريخ الحِلَّة، إذ كتب: «إنَّ تاريخ

الحِلَّـة- وإن كان حافلًا بالأمجـاد التاريخيَّة- لم يدوَّن في كتاب مسـتقل، بل هو مبعثَر في بطـون الكتب. إنَّ مختصر تاريخ الحِلَّة هو أوَّل محاولة لتدوين تاريخ مسـتقل عن الحِلَّة، وهـو غـير متَّصل الحلقـات؛ ذلـك لأنِّي لم أعثر على معلومـات تتعلَّق ببعـض الأدوار التاريخيَّـة، هـذا بالإضافة إلى غمـوض بعض النقـاط التاريخيَّة؛ لعدم توفُّـر المعلومات الكافية لجلاء غموضها».

ويضيف يوسف كركوش في مقدِّمة الكتاب: «ومنذ صدور مختصر تاريخ الحِلَّة، لم أفـتر عن تدوين ما أعثر عليه في أثناء مطالعاتي العامَّة، ممَّا يتعلَّق بتاريخ الحِلَّة، فحصلت لديَّ معلومات تاريخيَّة ساعدت على ربط تلك الحلقات، كما أوضحت بعض الغموض عن تلك النقاط التاريخيَّة».

من الواضح أنَّ يوسـف كركوش بذل جهدًا استثنائيًّا لتأليف هذا الكتاب، لاسيما في ظـلِّ ظروف غير ملائمة للبحـث العلميّ، فمصادر الكتاب لا توجد في مكان واحد أو مدينـة واحدة، فضلًا عن ظروف البلاد السياسـيَّة غير المسـتقرَّة حين العمل بتأليف الكتاب. ومن أمانته في نقل المعلومة، ذَكَر في المقدِّمة: «ليعلم القارئ الكريم أنِّي مؤرِّخ، أذكر الحَسَـن وغير الحَسَـن، بما توفَّر لديَّ من مصادر أوردت الحدث التاريخيّ والنصّ بكلِّ إمانة، بعيدًا عن العاطفة».

ويضيف يوسـف كركوش في مقدِّمته: «وقد أورِد نصوصًا وأقوالًا ربَّما لا تنسجم مـع رأيي الخاص، ولكنِّي أوردها بكلِّ أمانـة، إذ إنِّي اتَّخذت لي تجاهها خطَّة موضوعيَّة، وقد تكون لي اسـتنتاجات وملاحظات، فهي مبنيَّة على نصوص أو ظواهر تاريخيَّة، وقد تحرَّيـت الدقَّة في تلك الاسـتنتاجات والملاحظات، حسـب الطاقـة والجهد، وللكتَّاب والنقَّاد أن يناقشوني في تلك الاسـتنتاجات والملاحظات نقاشًا موضوعيًّا، وإنِّي أتقبَّلها قبولًا حسنًا، إذ الحقيقة بنت البحث».

مـن هنا نـرى حرص يوسـف كركوش في نقـل الحقائـق التاريخيَّة كـما وردت في مصادرهـا، دون تعديـل أو إضافـة، وهـذه صفات المـؤرِّخ الموضوعيّ الـذي لا يتأثَّر بالعواطف أو الميول السياسيَّة والدينيَّة، وإنَّما هدفه كتابة تاريخ أقرب إلى الواقع، ووفق المعلومات الواردة.

قُسِّـم الجزء الأوَّل إلى أحد عشر فصلًا، إضافة إلى مقدِّمة الكتاب، وفي نهاية الجزء فهـرس الجـزء، وقائمة المصادر المعتمدة في كتابة الجزء، وفهـرس الأعلام، وضمَّ الجزء على مجموعة من الصور التعريفيَّة لمعالم حِلِّيَّة.

بـدأ في هذا الجزء بالمدخل في عشرون صحيفة، وأكَّد يوسـف كركوش الهدف من المدخـل بقوله: «تحقيق لغويّ لمعنـى الحِلَّة، موقعها الجغرافيّ، نبذة تاريخيَّة عن الشـعب الذي عاش في منطقة الحِلَّة قبل تأسيسها».

في هـذا المدخل موجز عن تاريخ المنطقة قبل تمصير الحِلَّة سـنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م، فبـدأ بمعنـى الحِلَّة: «الحِلَّة بكسر الحاء وتشـديد اللام، تُقال على عدَّة أشـياء: ١. القوم النزول، وفيهم كثرة، ٢. شجر شائك أصغر من العوسج، ٣. عَلَم لعدَّة أماكن: (أ. حِلَّة بني قيلة بشـارع ميسان، بين واسـط والبصرة، ب. حِلَّة بني دبيس بن عفيف الأسديّ، قرب الحويزة، بين واسط والبصرة والاهواز، ج. حِلَّة بني مزيد، وهي المقصودة بالبحث هنا، وكانت تسمَّى بالجامعَين».

والجامعَـين، كما ذكر ياقوت الحمـويّ في كتابه معجم البلـدان: «هي أجمة قصب، تـأوي إليها السِّـباع والوحوش، أنشـأ فيها الأمير سـيف الدولة صدقة مدينـة الحِلَّة»، فيـما ذَكَر آخرون، ومنهم ابن الاثير في كتابه الكامـل في التاريخ: «إنَّ الجامعَين بالجانب الشرقيّ، مقابل الحِلَّة، وكانت مدينة زاهرة في موضع عامر بالخصب، ثمَّ تلاشـى أمرها على أثر بناء سيف الدولة الحِلَّة بأزائها بالجانب الأيمن للفرات».

وذكر يوسف كركوش رأيه، بأنَّه يميل إلى وجود بلدة الجامعَين قبل تمصير الحِلَّة؛ لوجود روايات تاريخيَّة متعدِّدة في الكتب التاريخيَّة، ويبدو أنَّ الرأي السليم هو وجود الجامعَين قبل تمصير الحِلَّة، ثمَّ اندثرت مع تطوُّر مدينة الحِلَّة.

موقع مدينة الحِلَّة بالقرب من آثار بابل، إذ لا تبعد عنها سوى عدَّة أميال، وشعبها من الأنباط، فكتب يوسف كركوش: «نشأ في هذه البقعة (أرض بابل) حضارات قديمة بابليَّة وكلدانيَّة وسومريَّة، وعلى مرور السنين، تكوَّن شعب ينتمي إلى أصول بابليَّة وكلدانيَّة وسومريَّة، أطلق عليه العرب (النبط)، ذلك لمعرفته بأنباط الماء، أي استخراجه؛ لكثرة فلاحتهم، وسمُّوا أرضه بالسواد؛ لخضرته بالنخل والزَّرع، وتُعرَف قديما باسم سورستان، وإليها يُنسَب السريانيُّون، وهم النبط، ولغتهم السريانيَّة».

وعندما تقدَّمت الجيوش الإسلاميَّة، وفتحت أرض بابل، أخذ هذا الشعب يمتزج بالفاتحين العرب، ويتعلَّم منهم، ويدخل في دينهم، ومن لغة هذا الشعب انحدرت ألفاظ إلى لغتنا العاميَّة التي نتكلَّم بها اليوم.

وأشار يوسف كركوش في المدخل إلى قول الامام عليّ عليه السلام: «**مَن كان سائلًا عن نسبنا، فإنَّنا نبطٌ من كوثى**»، وهذه نظرة سامية إلى هذا الشعب، لم تمنع الإمام عليًّا عليه السلام غطرسة الحاكمين، أن يقول إنَّ أصل قريش من نبط كوثى، على حين أنَّ أهل كوثى فلَّاحين محكومين، وقريش كانوا سادة حاكمين، هذه هي روح الإسلام، وبهذه الروح أخذ الإسلام يغزو الأفئدة في الشعوب غير الإسلاميَّة.

وأعتقد أنَّ كوثى المقصودة، هي كوثى جبَلة، وهي المكان الذي ولِد فيه سيِّدنا النبيّ إبراهيم عليه السلام، وهي قريبة من مدينة الحِلَّة بحدود ٤٠ كم، وبناؤها أقدم من الحِلَّة بأكثر من أربعة آلاف سنة.

وذكر يوسف كركوش في المدخل القرى التابعة للحِلَّة في العصر العبَّاسيّ الأخير، ومنها: الإسكندريَّة، الأميريَّة، بابل، بتَّا، بربيسيا، برس، برملاحة، برمنايا، بزيقيا، بغلَّة، بنورا، الحصاصة، الخالصة، دارخ، زاقف، الزاوية، سورى، السِّيب، سيور، شوشة، الصَّدرَين، الصَّروات، صَريفين، العتائق، الغامريَّة، قبِّين، قصر ابن هبيرة، قناقيا، القنطرة، القيلويَّة، قوسان، المباركة، المزيديَّة، مطيرباد، المشترك، المنقوشيَّة، النجيمة، نهر الدير، نرسي، النوريَّة، النيل، واسط، هرقلة، اليهوديَّة. ويبدو أنَّ كثيرًا من هذه القرى اندثرت، وقسم آخر لا يُعرَف مكانها بالدقَّة.

أوجزَ يوسف كركوش في مدخل الكتاب نشوء الإمارة المزيديَّة، بدأ من منطقة ميسان جنوب العراق، وذكر أنَّ أمراء الأسرة المزيديَّة ثمانية، أوَّلهم الأمير أبو الحسن عليّ بن مزيد، وكان الأمير أبو الحسن عليّ بن مزيد رجلًا باسلًا جوادًا قويّ الشكيمة، عالي الهمَّة، كبير النفس، له منزلة في نفوس كبراء الدولة العبَّاسيَّة والبويهيَّة، وهو أوَّل من حازَ لقب الإمارة من الأسرة المزيديَّة.

وبسبب انشقاق بني أسد، وبني مزيد، فيما بينهم، وحصول الحروب بينهم، اضطرَّ أبو الحسن عليّ بن مزيد الرحيل بأتباعه إلى منطقة أكثر أمانًا، تُبعِده عن أقربائه، فاختار النيل ذي الخصب الوفير، وانتشرت عشائره في أرياف الفرات في أرض بابل.

وفي سنة ٤٠٨هـ توفِّي أبو الحسن عليّ بن مزيد، وجاء بعده ابنه دبيس أميرًا على الإمارة المزيديَّة، استلم الإمارة وعمره أربعة عشر سنة، وحكم سبع وستِّين سنة. وذكر يوسف كركوش في المدخل، الحروب التي خاضها دبيس مع أخويه المقلّد وثابت، التي استمرَّت عدَّة سنوات، ولكن في نهاية المطاف استتبَّ الأمر لدبيس، وقوي جيشه، وسيطر على المناطق المجاورة للجامعَين، وأبعد خفاجة عنها.

تـوفِّي الأمير دبيس سـنة ٤٧٤هـ، وجاء بعده ابنـه الأمير بهاء الدولـة منصور أبو كامل، الذي كانت مدَّة إمارته خمس سنين، استتبَّ الأمر في المنطقة، ونال ثقة البويهيِّين، وتوفِّي سنة ٤٧٩هـ، وجاء بعده ابنه سيف الدولة صدقة بن منصور، وكانت مدَّة امارته اثنين وعشرين سنة (٤٧٩-٥٠١هـ).

ونقل يوسـف كركوش نصوصًا من كتب التاريخ في مدح صدقة بن منصور، منها مـا كتبه ابن الجوزيّ: «وكان كريمًا ذا ذمـام، عفيفًا عن الزِّنا والفواحش، كأنَّ عليه رقيبًا مـن الصيانة، ولم يتـزوَّج على زوجته، ولا تسرَّى، وقيل إنَّه لم يشرب الخمر، ولا سـمع غنـاءً، ولا قصد التسـوُّق في طعام، ولا صادر أحدًا من أصحابـه، وكان تاريخ العرب والأماجد كرمًا ووفاءً، وكانت داره ببغداد حرم الخائفين».

وذكر يوسـف كركوش في مدخل كتابه (تاريخ الحِلَّة)، حروب صدقة بن منصور المزيـديّ مـع قبيلـة خفاجة، لاسـيما بعـد دخولهم المشـهد الحسـينيّ المطهَّـر، والعبث بمحتوياته.

اعتمد يوسـف كركوش في كتابة المدخل على مصادر في التاريخ الإسـلاميّ، منها كتـاب معجـم البلدان لياقـوت الحمـويّ، والكامـل في التاريخ لابن الأثـير الجزريّ، والقاموس المحيط للفيروزآباديّ، وغيرها من الكتب الأساسـيَّة. وضمَّ المدخل صورًا لآثار بابل وبوسيبا.

ضمَّ الفصل الأوَّل دراسة عن الإمارة المزيديَّة في الحِلَّة، التي ابتدأت سنة ٤٩٥هـ، عندمـا انتقل إليها صدقة بن منصور المزيديّ، واتَّخذها عاصمة لإمارته، وذكر يوسـف كركوش أسـباب اختيار الحِلَّـة لتكون عاصمة للإمـارة المزيديَّة، اذ كتـب: «إنَّ الأمير سـيف الدولة صدقـة مصَّـر الحِلَّة واتَّخذهـا عاصمة إمارته، وكان سـبب تمصيرها أمرًا سياسـيًّا، وهو أنَّ الأمير سـيف الدولة كان يرقب الفرص للانفصال عن جسم الدولة

السلجوقيَّة، تحقيقا لأمنية جدِّه دبيس، فلـمَّا قوي أمره، واشتدَّ أزره، وكثرت أمواله، وانشغل السلاجقة بالانشقاقات التي وقعت بينهم، رأى الظروف ملائمة لتحقيق أمنيته، فمصَّر الحِلَّة، واتَّخذها عاصمته سنة ٤٩٥هـ».

وجاء في دائرة المعارف الإسلاميَّة عن الحِلَّة: «وقد أحسن هذا الأمير العربيّ (صدقة) المقتدر اختيار موقعها، فأقامها في موقع مدينة بابل المشهورة، وكان في الموقع قبل تأسيسها مدينة زاهرة تسمَّى (الجامعَين)، على الضفة اليسرى للنهر، وقد بنى صدقة مدينة الحِلَّة على الجانب المقابل للنهر، وسرعان ما أصبح جسر للقوارب الذي تجري عليه أسباب الاتِّصال بين الضفَتَين الممر الرئيسيّ على النهر في الطريق من بغداد إلى الكوفة، وكان هذا الطريق يمرُّ قبل ذلك بقصر ابن هبيرة، ومن ثـمَّ أخذت الحِلَّة بالازدهار بسرعة».

وكانت امارة بني مزيد تشمل البصرة وواسط والبطيحة والكوفة وهيت وعانة وحديثة وخضعت لها اقوى القبائل العراقية لذلك العهد، منها: قبائل خفاجة، وعبادة، وعقيل، والجاوان الكرديَّة.

وذكر يوسف كركوش أنَّ الأمير سيف الدولة صدقة اهتمَّ بالشؤون الإداريَّة والعمرانيَّة والثقافية. ورأى أنَّ أحسن شيء لانتعاش هذه الأمور هو نشر العدل بين رعيَّته. كان يحترم العلماء والأدباء، ويجزل لهم العطاء، لذا تقاطر إلى الحِلَّة العلماء والأدباء والشعراء من كلِّ حدبٍ وصوب، فتمَّت فيها الروح العلميَّة والأدبيَّة.

وذكر كركوش في هذا الفصل تفاصيل حروب صدقة مع السلاجقة والقبائل التي عارضته، كان آخرها سنة ٥٠١هـ، إذ قُتِل في معركة النعمانيَّة، التي خاضها مع الأتراك السلاجقة، وكذلك ذكر يوسف كركوش المجتمع الحِلِّيّ ومكوِّناته، فكتب: إنَّ المجتمع الحِلِّيّ كان يتكوَّن من عناصر مختلفة: عرب وأكراد ونبط سكَّان البلاد الأصليِّين، أمَّا

العرب، فكان أكثرهم من بني أسـد، ولهم السيادة، ويوجد طوائف من عرب خفاجة وعبادة وعقيل، وغيرهم من عرب العراق، وأمَّا الأكراد، فهم قبيلة الجاوان».

جاء بعد مقتل صدقة ابنه دبيس، ومن ثمَّ صدقة بن دبيس، وبعده محمَّد بن دبيس، وآخرهـم عليّ بن دبيس الذي توفِّي سـنة ٥٤٥هـ، وبذلك انتهى حكـم الإمارة المزيديَّة في الحِلَّـة، ويبـدو أنَّ المـدَّة التـي أعقبت حكم صدقة لم تكن مسـتقرَّة؛ بسـبب الضغط السـلجوقيّ عـلى الحِلَّـة، وانشـقاقات الجيش المزيديّ، وهـذا أدَّى إلى ضعـف الإمارة المزيديَّة، ومن ثمَّ نهايتها.

ويبـدو أنَّ صدقـة بن منصـور كان هدفه إقامة إمـارة عربيَّة بعيدة عن السـلاجقة والبويهيِّين، وهي أوَّل محاولة عربيَّة جادَّة في الاستقلال.

والفصـل الثاني ناقـش الأحوال العامَّـة للحِلَّة في العصر العبَّـاسيّ الأخير، أي في عهد الخلفاء المقتفي والمسـتنجد والمسـتضيء والناصر والظاهر والمستنصر والمستعصم، والذي استمرَّ قرابة ١١١ سنة، كانت الأوضاع في الحِلَّة غير مستقرَّة، إذ نشبت الحروب بين السـلطة العبَّاسـيَّة وآخرين أدعياء للسلطة من القبائل أو قادة الجيش السلجوقيّ أو العبَّاسيّ.

وزار الحِلَّة في هذه المدَّة عدد من الرحَّالة، وصفوا الحِلَّة وسكَّانها، ومنهم ابن جبير، إذ كتب عن الحِلَّة: «الحِلَّة مدينة كبيرة عتيقة الوضع مسـتطيلة، لم يبقَ من سـورها حلق من جدار ترابيّ مستدير بها، وهي على شطِّ الفرات، يتَّصل بها من جانبها الشرقيّ ويمتدُّ بطولهـا. ولهذه المدينة أسـواق حفيلة جامعـة للمرافق الدينيَّة والصناعـات الضروريَّة، وهـي قويَّة العمارة، كثـيرة الخلق، متَّصلة حدائق النخيل داخـلًا وخارجًا، فديارها بين حدائـق النخيل. وألفينـا بها جسرًا عظيمًا معقودًا على مراكب كِبار متَّصلة من الشـاطئ إلى الشـاطئ، يحفُّ بها من جانبها سلاسـل من حديد كالأذرع المفتولة عِظمًا وضخامةً،

تُربَط إلى خشب، مثبَّتة في كِلَا الشاطئين، تدلُّ على عِظَم الاستطاعة والقدرة، أمر الخليفة بعقده على الفرات؛ اهتمامًا بالحاجِّ، واعتناءً بسبيله، وكانوا قبل ذلك يعبرون بالمراكب».

درسَ الفصل الثالث الأوضاع العامَّة في الحِلَّة في العصر الأيلخانيّ، وبيَّن فيه يوسف كركوش موجز عن الدولة الأيلخانيَّة، وتقدُّم هولاكو بجيشه نحو بغداد، وكيف استطاع علماء الحِلَّة إنقاذ الحِلَّة وكربلاء والنجف من الاحتلال الأيلخانيّ.

وكتب يوسف كركوش: «قد يختلج شيء في ذهن القارئ الكريم عن موقف علماء الحِلَّة والكوفة تجاه الفتح المغوليّ لبلادهم، فيعتبر منهم مساومة للأجنبيّ الفاتح، وتحطيمًا لروح المقاومة في الشعب العراقيّ. كلَّا ثمَّ كلَّا أن يكون منهم ذلك، فلا يذهبنَّ بك الوهم هذا المذهب، فتأخذ الأشياء على غير حقيقتها. هم أجلُّ واسمى من أن يرتكبوا مثل هذه الأمور، بل هم الطبقة المفكِّرة في ذلك العصر، كانوا يشعرون بما تجيش به صدور الجماهير، فإذا عملوا شيئًا كان عملهم تحقيقًا لأماني الجماهير، كانت الجماهير العراقيَّة ناقمة على الطبقة الحاكمة في ذلك الوقت، ولم تكن تلك الجماهير تملك المقاومة، فكانت تئنُّ تحت مظالمها».

وذكر أيضًا: «ماذا فعل علماء الحِلَّة والكوفة؟ أصاروا أدلَّاء للأجنبيِّ الفاتح على عورات جيش المستعصم، أم أمدُّوه بجيش من المتطوِّعين يحاربون في صفِّه؟ كلَّا، لم يقل أحد من المؤرِّخين ذلك، بل كلُّ مافعلوه أنَّهم طلبوا الأمن لبلدهم؛ صونًا لها من الخراب والدمار المحتم، ولو لم يفعلوا ذلك؛ لماتت جرثومة العلم من العراق، إذ إنَّ مركز العلم انتقل من بغداد إلى الحِلَّة، فالحِلَّة حافظت على تراث العالم الإسلاميّ، وسلَّمته للأجيال القادمة يانع الثمار».

وذكر يوسف كركوش الحروب التي حصلت بين جيش هولاكو وجيش المستعصم، ومن ثمَّ احتلال بغداد، وحدوث المجازر فيها، وذكر الفتوى التي طلبها هولاكو من العلماء إجابةً عن سؤاله: «أيُّهما أفضل، الكافر العادل أم المسلم الجائر؟»، وجواب رضيِّ الدين بن طاووس: «الكافر العادل أفضل من المسلم الجائر».

وأورد يوسف كركوش في هذا الفصل تفاصيل عن الجوانب السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة في الحِلَّة، منها أسماء حكَّام الحِلَّة، أو بما يسمَّى الصدر، والأسر العلميَّة في الحِلَّة، والوضع الاقتصاديّ في الحِلَّة، وازدهارها وتطوُّرها، وكذلك قصد العلماء من مختلف المدن والولايات الحِلَّة؛ للدراسة والاستقرار فيها.

ضمَّ الفصل الرابع تفاصيل عن الحِلَّة في العصر الجلائريّ، والحروب التي خاضها حسن الجلائريّ من أجل ضمِّ الحِلَّة إلى مملكته.

ولـمَّا صفا أمر الحِلَّة للشيخ حسن الجلائريّ، أقرَّ محمود فخر الدين نائب الحِلَّة أيَّام أبي سعيد على وظيفته السابقة. كان محمود موصوفًا بالشجاعة والإقدام، وهو الذي باشر قتل ابن السهروورديّ لـمَّا قَدِم بغداد أيَّام أبي سعيد، لمصادرة أهلها.

وفي عهد الشيخ حسن، ورد الحِلَّة الرحَّالة الشهير ابن بطُّوطة، إذ كتب في رحلته عن الحِلَّة: «ونزلنا برملاحة، وهي بلدة حسنة بين حدائق نخل، ونزلت بخارجها، وكرهت دخولها؛ لأنَّ أهلها روافض، ورحلنا منها الصبح، فنزلنا مدينة الحِلَّة، وهي مدينة مستطيلة مع الفرات، وهو بشرقيِّها، ولها أسواق حسنة جامعة للمرافق والصناعات، وهي كثيرة العمارة، وحدائق النخل منظمة بها داخلًا وخارجًا، ودورها بين الحدائق، ولها جسر عظيم معقود على مراكب متَّصلة منتظمة فيما بين الشاطئين إلى خشبة عظيمة مثبَّتة بالساحل، واهل هذه المدينة كلُّهم إماميَّة اثنا عشريَّة، وهم طائفتان، إحداهما

تُعـرَف بالأكراد، والأخرى تُعرَف بأهل الجامعَين، والفتنـة بينهم متَّصلة، والقتال قائم أبدًا».

وذكـر يوسـف كركـوش في هذا الفصـل تفاصيل عـن الأحداث في عهد حسـن الجلائـريّ، وابنـه السـلطان أويس، وكذلـك في عهد السـلطان أحمد الـذي حصل في عهـده هجـوم تيمورلنك على بغداد، وحصـول حروب عديدة بـين الجلائريِّين وأتباع تيمورلنك.

وفي الفصل الخامس، ناقش يوسف كركوش أحوال الحِلَّة في العهد التركمانيّ، أوَّلًا في عهد القره قوينلو (الخروف الأسـود)، وكتب: «كان رجالات هذه الدولة معروفين بالزندقة والاسـتهتار بشريعة الإسـلام، هـذا إلى عتوِّهم وإرهاقهـم الرعايا بالضرائب الفادحـة. كان الأمـن في عهدهـم مفقودًا، والطواعـين تجتاح الناس مـن وقتٍ لآخر، والمجاعـات قضت على كثير من الناس، لذا سـادت الجهالات بـين الجماهير، وصاروا يعتقدون بالخرافات والأباطيل».

وذكر يوسـف كركوش قيام الدولة الجلائريَّة في الحِلَّة، وحروبها مع القرة قوينلو، وثـمَّ قيام دولة المشعشـعين، وسـيطرتهم عـلى الحِلَّـة، وقائمة طويلة مـن الحروب بين أطـراف عـدَّة من أجل السـيطرة على مدينة الحِلَّـة، ثمَّ أصبح العـراق تحت حكم الآق قوينلـو (الخـروف الأبيـض)، وفي هذا العهـد كانت الحالـة في ولاية الحِلَّـة مضطربة؛ بسـبب وقوعها بين دولة الآق قوينلو، ودولة المشعشـعين، فكانت العشـائر القاطنة في أراضي الحِلَّة عرضة لهجمات المشعشـعين من وقتٍ لآخر، وما يتبع ذلك من قتل ونهب وأسر وحـرق، بالإضافة إلى انقطاع طرق المواصلات التـي تؤثِّر بطبيعة الحال في الحالة الاقتصاديَّـة. وأمَّا اهل الحِلَّـة فكانوا من أجل ذلك في وجلٍ مسـتمرٍّ يرتقبون الأخطار تأتيهم في كلِّ لحظة، يُمسـون ولا يدرون ماذا تبيِّت لهـم الأيَّام من كوارث، لذا أخذت

الـروح العلميَّة والأدبيَّـة تتدهور، حتَّى تلاشـت بالنهاية، وذهب مـا كان لها من نفوذ فكريّ على العالم الإسلاميّ.

وناقش الفصل السادس مدَّة الصراع بين العثمانيِّين والصفويِّين على العراق، فذكر يوسـف كركوش في هذا الفصل: «كانـت البلاد العراقيَّة في هذا العهـد بحالة يرثى لها مـن جرَّاء الحروب التي كانـت تقع بين الصفويِّين والعثمانيِّـين، وكان الباعث على هذه الحروب حبُّ النفوذ والتسـلُّط، فاسـتخدموا الدين في أغراضهم السياسـيَّة، وجعلوه مطيَّـة لأعمالهم، وقد بلغ التعصُّب المذهبيّ الذميم مبلغًا عظيمًا، فجرت المجازر البشريَّة باسـم الدين، والدين بـرئ منها. كان العثمانيُّون يتعصَّبون للمذهب السـنِّيّ، وينكِّلون بغيرهم، فقابلهم الصفويُّون بالمثل، وصاروا يتعصَّبون للمذهب الشـيعيّ، وضربَ كلٌّ منهم على وتر الدين الحسَّـاس، فاسـتنفروا الأهلين في أغراضهم السياسيَّة، وحدث في البلاد العراقيَّة ما تقشـعرُّ لهوله الأبدان، ويكلُّ القلم عـن تصويره، وكانت الحِلَّة آخذة نصيبها من ذلك».

وذكر أيضًا أنَّ الشـاه إسـماعيل الصفوي قضى على دولة الآق قوينلو، وسيطر على العراق سـنة ١٥٠٨م، وبقـي العراق تحت السـيطرة الصفويَّة إلى سـنة ١٥٣٤، عندما اسـتطاع السـلطان العثمانيّ سـليمان القانونيّ من السـيطرة عـلى بغداد والمـدن العراقيَّة الأخرى.

كانـت الحالة العامَّة في سـنجق الحِلَّة في هذا العهد سـيِّئة، إلَّا من مفقود في أطراف الحِلَّـة؛ بسـبب تمرُّد العشـائر التي حولها على السـلطة مـن وقتٍ لآخر، هـذا من جهة، ومـن جهة أخـرى، كانت الحكومـة المحليَّة في الحِلَّة متعسِّـفة جائرة، فلـم يكن الفرق واضحًا بين الحكَّام والمزارعين، حتَّى كانوا أحيانًا يجمعون المهنتَين، فكان هذا السـنجق بكـي أو ذاك الآغـا والضابـط يـأتي بمئة مـن الإنكشـاريَّة إلى الحِلَّة، ويؤجِّـر أراضيها

وضرائبها، ثمَّ يستعمل قوَّته في إجبار الناس على الدفع، أو يؤجِّر الضرائب إلى الجباة القاسين.

وأضاف يوسف كركوش في هذا الفصل معلومات كثيرة عن الصراع الصفويّ العثمانيّ، ومنها احتلال العراق من قِبَل الصفويِّين في عهد الشاه عبَّاس الكبير، ومن ثمَّ طرد الصفويِّين من العراق عندما تقدَّم جيش عثماني بقيادة السلطان مراد الرابع إلى بغداد سنة ١٦٣٩، وسيطر عليها. كما ذكر أخبارًا متفرِّقة عن الأوضاع العامَّة في الحِلَّة، ومنها زعامة أسرة آل عبد الجليل للحِلَّة وتوابعها، وكذلك ذكر كثرة الغارات العشائريَّة على المدن، ومنها الحِلَّة، وحروبها مع العثمانيِّين، لاسيما الخزاعل وجشعم.

وتناول الفصل السابع الأحوال العامَّة في الحِلَّة في عصر المماليك ١٧٤٩-١٨٣١، وذكر يوسف كركوش في هذا الفصل: «لم تَرَ الحِلَّة في عهدهم راحة إلَّا في فترات قليلة لا تعدُّ شيئا. الثورات الأهليَّة في الحِلَّة أو أريافها على قدم وساق، تارةً على الحكومة، وأخرى على العشائر، مثل عقيل وآل جشعم وخفاجة والخزاعل، وغير ذلك، في صدِّ غارات الوهابيِّين عن مدينتهم حين غزوها بعد غارتهم على كربلاء، ويأسهم من الاستيلاء على النجف».

وذكر يوسف كركوش أحداثًا متفرِّقة في الحِلَّة في عهد المماليك، ومجملها يتعلَّق بحكَّام المدينة وهجمات العشائر والوهابيِّين على الحِلَّة، وثورة الحِلِّيِّين مع محمَّد الكهيَّة سنة ١٨٢٤، ومن ثمَّ ثورتهم على العقيليِّين، وهذا يعني عدم وجود استقرار في الحِلَّة في هذا العصر.

وفي الفصل الثامن، كتب يوسف كركوش عن الحِلَّة في عصر الوزراء ١٨٣١-١٩٠٨، فمنذ سيطرة عليّ رضا اللاز على العراق، بدأ الحكم العثمانيّ المباشر، وحصلت

في هـذا العهد انتفاضات عشـائريَّة متعـدِّدة في منطقة الفرات الأوسـط، ومنها مناطق الحِلَّـة، وتميَّـز هذا العهـد بزيادة نفـوذ قبيلـة زبيد وشـيخها وادي الشـفلح في مناطق الحِلَّة.

وتميَّـز عهـد مدحـت باشـا ١٨٦٩-١٨٧١ بالنهضـة في مختلف الجوانـب، ببناء المـدارس، وفتـح المصانـع، واسـتقرار الأوضـاع الأمنيَّـة، وفي عهـده جُعِلـت الحِلَّة متصرفيَّـة، وكان أوَّل متـصرِّف فيهـا توفيـق باشـا، وهـو ابـن أخـت مدحت باشـا، وقُتِـل في ثـورة عشـائر الدغَّـارة، وكان المتصرِّف يتولَّى الشـؤون العسـكريَّة والإداريَّة معًا.

وزار الحِلَّـة في هـذا العهـد عدد مـن الرحَّالة الأجانـب، وكتبوا عـن الحِلَّة، منهم السـائحة الفرنسـيَّة ديو لافوا، فكتبت في مذكِّراتها: «أنا الآن في مدينة بابل التي تبدَّلت اليـوم إلى صحراء قاحلـة، ليس فيها زرع ولا نبات، بعد أن كانـت أكبر المدن القديمة، وتعدُّ مركز المدنية والحضارة في الأزمان السـحيقة»، كتبـت مذكِّراتها بتاريخ٢٣ كانون الأوَّل سـنة ١٨٨١، وكانت المياه شـحيحة جدًّا في شطِّ الحِلَّة؛ بسـبب اتِّجاه الفرات إلى شطِّ الهنديَّة الأكثر انحدارًا.

وفي الفصل التاسع، ذكر يوسف كركوش أبرز الأحداث في الحِلَّة بين سنَتَي ١٩٠٨ و١٩١٧، وكانت أهمّها هجمات العشائر المجاورة على الحِلَّة؛ بسبب فقدان الأمن وعدم سـيطرة الحكومـة العثمانيَّة على الأوضـاع العامَّة في العـراق، وأحداث سـنَتَي ١٩١٥ و١٩١٦ في الحِلَّـة، بـما يعرف بـ(دگَّة عاكـف)، وعاكف بيك قائد عثـمانيّ حارب أهل الحِلَّة؛ لعدم امتثالهم لأوامره في التجنيد الإلزاميّ لمواجهة البريطانيِّين، واستطاع في سنة ١٩١٦ الانتقـام منهم، بهدم عدد كبير من دورهم، وإعدام عدد منهم، ونفي آخرين إلى الأستانة.

اختصَّ الفصل العاشر بأحداث الحِلَّة في مدَّة الحكم البريطانيّ المباشر ١٩١٧-١٩٢١، وكان معظم ما ذكره يوسف كركوش يتعلَّق بأحداث ثورة العشرين، الرسائل المتبادَلة بين الزعماء الثوَّار والمرجع الأعلى محمَّد تقي الشيرازيّ، والحروب الدائرة بين البريطانيِّين والعشائر، وأهمّ معارك الثورة في الحِلَّة، مثل بنشَّة والرارنجيَّة وغيرها من المعارك، ونفي عدد من الزعماء المؤثِّرين إلى جزيرة هنجام، وسجن آخرين، وشيوخ العشائر الموالين للثورة، وآخرين موالين لبريطانيا.

أمَّا الفصل الحادي عشر، فتناول أبرز التطوُّرات في الحِلَّة مدَّة الحكم الوطني، كما سمَّاه يوسف كركوش، والمقصود به مدَّة العهد الملكيّ ١٩٢١-١٩٥٨، وذكر قائمة طويلة لمتصرِّفي الحِلَّة، لعلَّ أبرزهم سعد صالح جريو، الذي حوَّل النفايات إلى حدائق جميلة في منطقة الجبل، وكذلك ذكر تطوُّرات في التعليم من خلال ازدياد عدد المدارس، وفي الصحَّة من خلال افتتاح عدد من المستشفيات، منها مستشفى مرجان سنة ١٩٥٧، وصدور عدد من الصحف في الحِلَّة، كما عُبِّد عدد من الطرق في داخل مدينة الحِلَّة، فضلًا عن التطوُّر العمرانيّ في المدينة.

اعتمد يوسف كركوش في كتابة الفصول الأحد عشر للجزء الأوَّل من كتابه على مصادر متنوِّعة، وهو موضوعيّ في ذِكر الأحداث. وفي هذا الجزء عدد من الصور تمثِّل بنايات وحدائق في الحِلَّة، وزوَّد هذا الجزء بفهرس للأعلام والأسر والبيوت والقبائل والأمكنة والأنهار والبقاع والمدن.

الكتاب له أهميَّة كبيرة في دراسة التاريخ المحلِّيّ للحِلَّة، ويحوي معلومات كثيرة، وهي مفتاح لدراسات أخرى عن الحِلَّة، وفعلًا كُتِبت دراسات عديدة عن الحِلَّة، أفاد كاتبيها من كتاب تاريخ الحِلَّة للشيخ يوسف كركوش.

الجزء الثاني

يناقش هذا الجزء الحياة الفكريَّة في الحِلَّة للمدَّة نفسها التي كانت إطارًا زمنيًّا للجزء الأوَّل، منذ تمصير الحِلَّة حتَّى سنة ١٩٥٨. عدد صحائف هذا الجزء ٢٥٣ صحيفة، في ثلاثة فصول، إضافةً إلى فهرس القسم، والمصادر المعتمدة، وفهارس الأعلام والأسر والبيوت والقبائل والأمكنة والأنهار والبقاع والمدن.

درس الفصل الأوَّل النهضة الأدبيَّة والعلميَّة في الحِلَّة حتَّى نهاية القرن التاسع عشر الميلاديّ، وكتب الشيخ يوسف كركوش: «صارت الحِلَّة في عهد سيف الدولة كعبة الأدباء والشعراء والعلماء؛ لما يلقونه من رعاية وتشجيع من قِبَله، فقد كان يُجزل لهم العطاء والبذل، حتَّى أنَّ بعض من وَفَد إليها اتَّخذها موطنًا له بدل موطنه الأصليّ، مثل أبي المعالي الهيتيّ المعروف بالفارسيّ، وأبي عبد الله محمَّد بن خليفة السنبسيّ، وغيرهما الكثير».

وللعماد الأصفهانيّ كلمة بحقِّ سيف الدولة صدقة بن منصور: «كان صدقة يهتزُّ للشعراء اهتزاز الإعزاز، ويخصُّ الشاعر من جوده بالاختصاص والامتياز، ويؤمِّنه مدَّة عمره من طارق الأعواز. يُقبِل على الشعراء، ويمدُّهم بجميل الإصغاء وجزيل الإعطاء، لا يخيب قصد قاصده من ذوي القصائد، ويبلغ امليه إلى أغراضهم والمقاصد».

وذكر يوسف كركوش في هذا الفصل الشعراء والكتَّاب الذين وفدوا إلى سيف الدولة في الحِلَّة، وكيف أكرمهم، وذكر نماذج من شعرهم الذي ألقوه أمام سيف الدولة صدقة. كما ذكر يوسف كركوش الأدباء والشعراء من الأسرة المزيديَّة، منهم بدران ابن سيف الدولة، وكتب عنه العماد الأصفهانيّ: «شمس الدولة بدران بن صدقة بن منصور الأسديّ، أبو النجم شمس العلى وبدر الندى، فبدران لحسن منظره، وطيب

مخـبره بـدران، ولعلمه وجودِه بحران، تغـرَّب بعد أن نكب والـده، وتفرَّقت في البلاد مقاصـده». وكذلـك الأمير مزيد بن صفـوان الحِلِّيّ المزيـديّ، وذكر يوسـف كركوش عنـه: «كان الأمير مزيد شـاعرًا مجيـدًا مكثرًا من الوصـف والغزل والنسـيب والتغنِّي بالخمرة ووصف مجالس الشراب والاشـتياق للندمان ووصف الطلول والمناجاة، ومن استعراض قصائده نلاحظ أنَّها تمتاز بالقوَّة والجزالة والرقَّة والسلامة، كما تدلُّ أنَّه شاعر مطبوع مرهف الحسِّ، رقيق الشعور».

ومنهم أيضًا جمال الدين أحمد بن يحيى المزيديّ، الذي كان فقيهًا، وابنه رضيّ الدين عـليّ بن أحمد، وكتب عنه يوسـف كركوش: «كان أديبًا فاضـلًا فقيهًا محقِّقًا، مذكورًا في إجازات العلماء، كان من أكابر تلامذة العلَّامة الحِلِّيّ، ومَن في طبَقَتِهِ».

ذكـر يوسـف كركوش في هـذا الفصل مجموعة مـن الأسر العلميَّـة والأدبيَّة التي نشـأت في الحِلَّـة، ولها نتـاج أدبيّ وعلميّ، منهـم أسرة آل بطريق: «بيـت رفيع ذو علم وفضل وأدب في الحِلَّة، وكلُّهم شيعة إماميَّة»، منهم يحيى بن البطريق، فقيهًا ومحدِّثًا، وله مؤلَّفات عدَّة، منها: العمدة والمناقب، اتِّفاق صحاح الأثر في إمامة الأئمَّة الاثني عشر، ونجم الدين عليّ بن البطريق الفقيه والشاعر.

وأسرة آل نـما الربعـيّ، وذكـر يوسـف كركوش منهم: أبـو البقاء هبـة الله بن نما، وجعفـر بن نما، ونجيب الدين بن نما، ونجـم الملَّة والدين جعفر، وعلم الدين أبو محمَّد إسـماعيل، وشمس الدين محمَّد، وجعفر بن شـمس الدين، ونظام الدين أحمد، وجلال الدين الحسـن، وعليّ بن عليّ بن نما، وكلُّهم برعوا في الرواية والحديث والفقه والتراث الإسلاميّ.

وذكر يوسـف كركوش أيضًا أسرة آل سـعيد، ومنهم: يحيى بن الحسـن بن سعيد، والحسن بن سعيد، والمحقِّق الحِلِّيّ، والشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد، وصفيّ الدين

محمَّد بن يحيى، وهؤلاء العلماء الأفاضل لهم إسهامات علميَّة في الفقه والحديث وتراث آل البيت عليهم السلام.

وذكر يوسف كركوش أسرة آل طاووس الشهيرة بالعلم والأدب، منهم: رضيّ الدين عليّ، وجمال الدين أبو الفضائل، وغياث الدين عبد الكريم، ورضيّ الدين عليّ ابن عبد الكريم.

وأسرة آل مطهَّر، ذكرها يوسف كركوش في هذا الفصل، وقد اشتهروا بالعلم والخدمات الاجتماعيَّة، منهم: يوسف بن المطهَّر، والعلَّامة الحسن بن المطهَّر، ورضيّ الدين عليّ بن المطهَّر، وفخر المحقِّقين محمَّد ابن العلَّامة، وظهير الدين محمَّد بن فخر المحقِّقين، وقوام الدين محمَّد بن رضيّ الدين.

وذكر آل معيَّة الحسنيِّين، وهم من وجهاء الحِلَّة، وبرزوا في عهد الناصر لدين الله العبَّاسيّ والعهود اللاحقة، وبنو الأعرج الحسينيُّون، وبرز منهم علماء منهم: مجد الدين ابن الأعرج، وعميد الدين عبد المطَّلب، وضياء الدين عبد الله.

وذكر يوسف كركوش شخصيَّات علميَّة وأدبيَّة كثيرة، منهم: أبو المعالي محمَّد الهيتيّ، وعليّ بن أفلح العبسيّ، ومحمَّد بن حميده، وأبو سعيد بن حمدان، وشرف الكتاب ابن جيا، ومحمَّد بن إدريس، وأبو الحسن السكونيّ، والشيخ محمَّد الحمصيّ، وأبو الحسن شميم الحِلِّيّ، وأبو عبدالله محمَّد بن الكال، والشيخ ورَّام الجاوانيّ الحِلِّيّ، وأبو الفتوح ابن الخازن، وابن حمدون، والشرف راجح الأسدي، والحسن بن معالي الباقلَّانيّ، ومهذّب الدين الخيميّ، والحسن بن الدربيّ، وسالم بن عزيزه السوراويّ الحِلِّيّ، ومهذَّب الدين الشيبانيّ، وعفيف الدين بن عقيل التاجر، وعلم الدين الحاسب، وصفيّ الدين ابن الطقطقيّ، وصفيّ الدين الحِلِّيّ، وحيدر بن عليّ العبيديّ الحسينيّ الآمليّ، وعبد الرحمن العتايقيّ، وعلاء الدين الشفهينيّ، وشمس الدين بن البقَّال، والحافظ رجب

البرسيّ، والحسن بن راشد، والشيخ أحمد بن فهد الحِلِّيّ، وعزّ الدين المهلَّبيّ، والسيِّد محمَّد المشعشع، والشيخ مغامس بن داغر، وجمال الدين الخليعيّ، وأبو الحسن بن حمَّاد، وابن العرندس. وقد ذكر لهؤلاء الأعلام موجزًا تعريفيًّا عن حياتهم ونتاجهم العلميّ والأدبيّ.

تناول الفصل الثاني الركود الفكريّ الذي بدأ منذ نهاية القرن التاسع الهجريّ/ الخامس عشر الميلاديّ، وذكر يوسف كركوش في مطلع هذا الفصل: «انتهت هذه النهضة بعد أن بزغت شمسها طيلة أربعة قرون، واستضاء بنورها العالم الإسلاميّ، ولايزال أثرها يعطِّر الأرجاء، ويشيع في النفوس ذكريات تبعث على النشاط، وتثير فيها أحاسيس العزَّة والمجد، كما تبعث في القلوب أشجانًا تستنزف دمع العيون. يتمثَّل المعتبر الحِلَّة على مسرح التاريخ، وقد انتشرت من خلالها المدارس، وهي مكتظَّة برجال العلم والعرفان، ومكتباتها ملائ بالأسفار المؤلَّفة في مختلف ضروب المعرفة، وهي عامرة بالمطالعين والناسخين والمؤلِّفين، ثمَّ تمثَّلها في فترة أخرى، وهو يسير عبر التاريخ، فيجد مدارسها قد اقفرَّت من طلَّابها، ويجد مكتباتها قد لعبت بها أيدي العبث، فتلاقفتها أيدٍ لا تعرف للعلم والأدب حرمة، فأخذت تعبث بأوراقها، جاهلةً ما تشتمل عليه هذه الأوراق من نفائس المعرفة الإنسانيَّة، ثمَّ تسرَّبت إلى العطَّارين؛ ليحفظوا بها المساحيق من بضاعتهم، ولم يسلم من تلك الكتب إلَّا النزر القليل جدًّا».

على الرغم من الركود الفكريّ الذي عمَّ الحِلَّة، ظهرت شخصيَّات ذات شأن علميّ وأدبيّ، منهم: أبو الغنائم الحسينيّ، ذكره الحرُّ العامليّ في كتابه أمل الآمل: «علم فقيه محدِّث جليل شاعر معاصر، له كتب، منها كتاب الرجال، وكتاب في النحو، وغير ذلك». وذكر يوسف كركوش ابن عوَّاد الهيكليّ، وقال فيه: «شاعر متقعِّر في الكلام، يقرع السمع من حواشي ألفاظه ما يربى على قوارع الملام».

ونعمان الأعرجيّ من شعراء القرن الحادي عشر الهجريّ، وله مراثٍ كثيرة لأهل البيت عليهم السلام. وذكر أيضًا يحيى بن أحمد الأعرجيّ الشاعر، وحسن بن يحيى الأعرجيّ الشاعر.

عليّ الحديديّ الحسينيّ، ذكره يوسف كركوش في هذا الفصل: «عليّ بن يحيى ابن حديد الحسينيّ، كان إمام البلاغة والفصاحة، ومالك زمام الجود والسماحة، إن نَظَمَ، أخجل الدرَّ نظامه، أو تكلَّم أطربَ الأسماع كلامه». وبرزت في الحِلَّة أسرة آل نحويّ، التي كان لها صدى في عالم الأدب والشعر في الحِلَّة في القرن الثاني عشر الهجريّ، وبرز منهم الشيخ أحمد النحوي، والشيخ حسن النحويّ، والشيخ محمَّد رضا النحويّ، والشيخ هادي النحويّ، والشيخ حمزة النحويّ. وظهر أيضًا السيِّد صادق الفحَّام الشاعر، وله ديوان شعريّ محفوظ.

أمَّا الفصل الثالث، فدرس النهضة الأدبيَّة في الحِلَّة في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلاديّ، وذكر يوسف كركوش في مطلع هذا الفصل: «بعد أن ركدت الروح العلميَّة والأدبيَّة في الحِلَّة خلال ثلاثة قرون تقريبًا، ظهرت بوادر نهضة أدبيَّة في الحِلَّة في أواخر القرن الثاني عشر، وأخذت تشتدُّ وتنمو طيلة القرن الثالث عشر الهجريّ، وأوائل القرن الرابع عشر الهجريّ. نشأ في هذا الدور أدباء وشعراء لا يشقُّ لهم غبار، وبلغوا الغاية في الشعر والأدب». وأردف يوسف كركوش قائلًا: «قد يتساءل المرء عن عوامل النهضة الأدبيَّة مع انحطاط الحياة السياسيَّة آنذاك، وسوء الحالة الاقتصاديَّة، وتناقص العمران. أقول: لا ربط بين الحياة السياسيَّة والنهضة الأدبيَّة، إذ قد تكون الحياة الفكريَّة صدًى لما يساور النفوس من تذمُّر لتأخُّر الحياة السياسيَّة والاقتصاديَّة. وقد بحثت عن عوامل هذه النهضة، فلم اهتدِ لشيء سوى أنَّ الحكَّام الأتراك كانوا يحكمون العراق بروح طائفيَّة؛ ليتمكَّنوا من تفتيت وحدة الشعب،

وبذلك يسهل عليهم السيطرة على البلاد، فكانوا بذلك يشجِّعون الأدب الطائفيّ، فنشأ كردِّ فعلٍ أدبٌ مضادٌّ».

وذكر يوسف كركوش عدد من الشخصيَّات الأدبيَّة، منهم آل شهاب، وبرز من هذه الأسرة عدد من الأدباء: السيِّد سليمان بن داوود، وحسين بن سليمان، والسيِّد سليمان الصغير، وحيدر بن سليمان بن داوود، والسيِّد عبد المطَّلب بن داوود، وهؤلاء برزوا في الشعر والأدب واللغة والكتابة في تراث آل البيت عليهم السلام.

ومحمَّد بن الخلفة له شعر ونثر كثير، أوجز يوسف كركوش سيرته في هذا الفصل، وكذلك حبيب المطيريّ. وذكر أيضًا أسرة آل عذاري، ومنهم الشيخ عليّ العذاريّ، وعبَّاس العذاريّ، وعبد الله العذاريّ، ومحسن العذاريّ، ومحمَّد العذاريّ، وحسن العذاريّ، وهم شعراء وأدباء متميِّزون.

وذكر آل كوَّاز، ومنهم الشيخ حمَّادي الكوَّاز، والشيخ صالح الكوَّاز، وهم شعراء. والشيخ حسن الفلُّوجيّ، وكان عالمًا ورعًا عارفًا بعلوم شتَّى كالنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والفقه وأصوله، والشيخ حسُّون الذي كان خطيبًا بارعًا في الخطابة.

أسرة آل القزوينيّ، برز منهم علماء وأدباء، منهم: السيِّد مهدي القزوينيّ، وأبنائه الميرزا جعفر، والميرزا صالح القزوينيّ، وحسين مهدي القزوينيّ، ومحمَّد مهدي القزوينيّ، ومحسن حسين القزوينيّ، وهؤلاء برعوا في شتَّى العلوم: الفقه واللغة والأدب شعرًا ونثرًا.

ذكر يوسف كركوش في هذا الفصل السيِّد جعفر كمال الدين الحِلِّيّ، الذي برع في العلوم الدينيَّة، وعلوم اللغة العربيَّة، والشيخ حمَّادي نوح الأديب والشاعر، والحاج

حسن القيِّم الشاعر، والشيخ عليّ عوض، مؤلِّف كتاب (محاضرة الأديب ومسامرة الحبيب)، وله شعر في مواضيع شتَّى، والحاج عبد المجيد العطَّار الشاعر، والشيخ حسن الحمود الشاعر، ويعقوب الخطيب الذي برع في الخطابة والوعظ، والشيخ محمَّد حسين الجبَّاويّ الأديب والشاعر، والشيخ ناجي خميس المتخصِّص في علوم اللغة العربيَّة، والمحامي الشيخ روؤف الجبوريّ الشاعر.

الكتاب بمجمله مفيد للباحثين في تاريخ الحِلَّة، وهو نواة للدراسات الحِلِّيَّة التي كُتِبت أو التي تنتظر من يُسبَر غورها، فالمتصفِّح لهذا الكتاب يجد عشرات العنوانات التي تصلح لدراسات تفصيليَّة منفصلة، إذ ذكر يوسف كركوش موجزًا تاريخيًّا لمعظم الأحداث والأعلام الأدباء والعلماء والسياسيِّين الذي عاشوا في الحِلَّة، أو عملوا فيها.

وممَّا لاحظته في الكتاب عدم اهتمام المؤلِّف الدقيق في ذِكر السنوات، عند ذِكر كثير من الأحداث، واعتماده بشكلٍ كاملٍ على التاريخ الهجريّ، ومن الضروريّ أن يقترن التاريخ الهجريّ بالتاريخ الميلاديّ؛ لضرورات البحث التاريخيّ الحديث.